

قف في ربوع المجد وابك الأزهرا

للشاعر الشهيد / هاشم الرفاعي

واندبه روضاً للمكارم أقفرا
واجعل مدادك دمعك المتحدرا
بلغت بلاد الضاد أعراف الثرى
في موكب العلياء سار القهقرى
قد كان نبعاً بالفخار تفجّرا
عادت به الأطماع أشعث أعبراً
من مجده عرضاً له أو جوهر
مجد على الأيام واره الثرى
قد كان قائد ركبته المتصدّراً
من بعد ما نشر العلوم مبكرا
قد كان ناديها وكان المنيرا
تخذوا به جنداً هناك وعسكرا
في نشر روح البذل فاضوا أنهرا
رسم المكيدة للدخيل ودبراً
أو يدرك النصر المبين مظفرا
عن معشر كانوا به أسد الثرى
منهم كهام قد ونى أو قصّرا
من حاكم عرض الحياة محقرا
ثوب الظلام هدى الأنام ونورا
كانوا الشكيم لمن طغى وتجبراً
لتملق الأهواء كان مسخرا
ويدك معروفاً ويبني منكرا
لبسوا سوى ثوب الهداية مغفرا
ناداه داعي دينه أن يزاراً
كلا ولا تخذوا الشريعة متجرا
لا يسمحون بأن يباع ويشترى
لأشد إيماناً وأظهر مؤزرا
لا نبتغي في العلم حظاً أكبراً

قف في ربوع المجد وابك الأزهرا
واكتب رثاءك فيه نفثة موجع
المعهد الفرد الذي بجهاده
سار الجميع إلى الأمام وإنه
لهفى على صرح تهاوى ركنه
من كان بهجة كل طرفٍ ناظرٍ
ما أبقت الأيدي التي عبثت به
لله ما أروي له في الشرق من
كم موكبٍ في مصر سار إلى العلا
عجباً أيدركه الأقول لدى الضحى
سل مهبط الثورات عنها إنه
المشعلون لنارها أبناؤه
والمضرمون أوارها بلغاؤه
من كل ذي حجرٍ لخير بلاده
لا ينتهي عن بعثها دموية
سل موئل الأفذاذ من أشياخه
العاملين لرفعة الإسلام ما
والمبتغين رضا الإله وما ابتغوا
كانوا المنار إذا الدياجي أسدلت
كانوا لمن ظلموا حصون عدالةٍ
ردوا غواة الحاكمين، وغيرهم
لرضائها يبدي الحرام محلاً
في وجهها وقفوا وهم عزّل وما
وإذا رأى منهم همام ريبية
ما قامروا بالدين في سبل الهوى
عاشوا أئمة دينهم وحماته
ثم انطوت تلك الشמוש وإنها
ولقد مضى دهرٌ ونحن مكاننا

إن كان مجد أمس لم نلحق به
هذي العلوم وحشوها لغوبه
علم نعالجه بفكر جدودنا
إننا نريد من التقدم قسطنا
ونريد أن نسقي الفنون ربيعة
ما العلم إلا ما تراه لديك في
أنى لمن ألفت نواظره الدجى
قد كان تنقيح العلوم وفحصها
للمخبر انتبهوا ولا يغنيكم
أنكون في دنيا الرقي نعامة
ما ضرني إذ نحن نخدع نفسنا
ليس التعصب للأبوة مانعي
أترى تعود إلى المريض سلامة

أفلا نود غداً نصيباً أوفرا
من كل جيل لا يزال مسطرا
يبدو به الهذر القديم مكررا
ونريد للإسلام أن يتحررا
تجدي وأيست طلسماً متحجرا
لجج الحياة إذا مضت بك مثمرا
عند الخروج إلى السنا أن يبصرا
بالبحث من فرض العمامة أجدرا
من بعد هذا أن نبدل مظهرها
نخفي الوجوه وقد عرانا ما عرا
لو قلت ما أدري وفهت بما أرى
من أن أقول الحق فيه وأجهرها
أم تصرع الأسقام من قد عمّرا؟!!